يا باغي الخير أقبل

إعداد

محمود أحمد راشد

مصدر هذه المادة :







بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي كتب علينا صوم رمضان وضاعف فيه الأجر والثواب وأنزل فيه القرآن هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله المبعوث إلى الإنس والجان، أفضل من صلى وصام ﷺ وعلى آله وأصحابه والتابعين بإحسان؛ أما بعد:

فعما قريب نستقبل ضيفًا عزيزًا علينا طالما ترقبته القلوب واشتاقت إليه النفوس يأتي بعد طول غياب ويهل بعد فراق يُطل على الأمة إطلالة تشرح صدورها؛ كيف لا وهو شهر التقوى والصلاح يعيد للقلوب صفاءها وللنفوس إشراقها وللضمائر نقاءها.

مرحبًا أهلاً وسهلاً بالصيام ... يا حبيبا زارنا في كل عــــام
قد لقينــــاك بحـــب مفعـــم ... كل حب سوى المولى حرام
فاقبل اللـــهم ربي صـــومنا ... ثم زدنا من عطاياك الجســـام

أيها الصائم: هذا شهر يصلح الله بمقدمه القلوب ويغفر فيه الذنوب ويستر به العيوب، ما أحلى أيامه وما أجمل لياليه فيه تفتح أبواب الجنان وتغلق أبواب النيران وتصفد الشياطين.

ثبت في صحيح مسلم عن أبي هريرة ﷺ، قال: قال رسول الله ﷺ: «**إذا جاء رمضان فتحت أبواب الجنة وأغلقت أبواب النار وصفدت الشياطين**».

أخي باغي الخير

إن بلوغ رمضان نعمة كبرى ومنَّة من الله عظمى يعقلها الصالحون فيشمرون ويجتهدون؛ فإن الواجب عليك أن تستشعر هذه النعمة، وتغتنم هذه الفرصة، فإن فاتتك كانت حسرة عليك وندامة.

أخي الكريم: هل وقفت مع نفسك لتقول لها أقبل هذا الشهر فماذا تعدين؟ فقد مضى عام ذهب لذته وبقيت تبعاته، هل تنتظرينه في اشتياق ولهفة وحنين رجاء ورغبة عسى الله أن يغفر منك ما سلف من الذنوب وعسى أن تكوني في عداد العتقاء من رمضان.

أو أن تكوني من النفوس التي لا تسعد بقدومه ولا تفرح بمجيئه يؤلمها أنها سوف تترك كثيرًا مما تعودت عليه لأجل ذلك كان واجبك أن تتميزي عن غيرك من اللاهين الغافلين، فتستقبليه بكل خضوع وانكسار، بكل حب وسعادة.

أيها الصائم: احمد ربك أن الله بلغك هذا الشهر الكريم.. كان النبي ﷺ يسأل ربه أن يبلغه الشهر الكريم، فقد ورد عنه ﷺ: «**اللهم بارك لنا في رجب وشعبان وبلغنا رمضان**» رواه أحمد والبزار والبيهقي في شعب الإيمان.

وكان السلف رحمهم الله يدعون الله ستة أشهر أن يبلغهم رمضان، ثم يدعونه ستة أشهر أن يتقبله منهم، وكان من دعائهم: «اللهم سلمني إلى رمضان وسلم رمضان وتسلمه مني متقبلاً».

يا باغي الخير

أتى هذا الشهر ليبشر العاصي، وكيف لا يبشر بشهر تفتح فيه أبواب الجنة وتغلق فيه أبواب النيران.

أتى هذا الشهر ليبشر الغافل وليربي نفسه ويزكي قلبه، ويذهب شهوته وينتصر على نفسه امتثالاً لعبودية ربه وإذعانًا لأمره وتسليمًا لشرعه وترك شهوة الطعام والشراب والجماع لمرضاته.

أتى هذا الشهر ليبشر العابد، وكيف لا يبشر بليلة.. هي خير من ألف شهر، وهي التي خص الله تعالى بها هذه الأمة وآتاهم فيها

من الفضل ما لا يحصى ولا يعد.

أيها الصائم: إن التجار ينتظرون المواسم لعظيم الكسب فيها فإذا جاءت شمروا عن ساعد الجد والاجتهاد، فماذا أنت عامل في هذا الشهر الكريم، فمن اتجر مع مولاه كان ربحه أن يعتقه من النار، وأن يشمله بعفو وغفران؛ فهل تكون ممن يتقرب بالبر والطاعات وتحافظ على الجمع والجماعات، وتطيل الركوع والقيام وتتصدق بأفضل الصدقات وتصون لسانك عن الفحش والسباب؛ ثبت في الترمذي عنه ﷺ: «**ينادى مناد يا باغي الخير أقبل ويا باغي الشر أقصر ولله عتقاء من النار في كل ليلة**».

أتى رمضان مزرعة للعبـــاد لتطهير القلوب من الفســـاد
فأد حقوقه قـــولاً وفعـــلاً وزادك فاتخـــذه للمعـــاد
فمن زرع الحبـــوب ومـــا تأوه نادمًا يوم الحصاد

فمن زكى نفسه وجاهدها فقد ربح من شهره ومن دسها وأتبعها هواها فقد خسر شهره؛ فالأمر فينا وليس في الشهر.

اعلم أخي الصائم أن الناس في استقبال شهر رمضان تتباين أحوالهم بين مقبل ومعرض ومحاسب ومفرط، فانظر إلى نفسك من أي الفريقين أنت.

فمن الناس من يحرص على الخير، لذا تراه قبل دخول الشهر يحاسب نفسه قبل أن يحسب خزائنه، ويستعد لتغذية روحه قبل أن يستعد لتغذية بطنه، فيجعل رمضان مدرسة لتقوية إيمانه وتهذيب خلقه، وتقوية إرادته، فهذا صنف يستفيد من شهره فيجد من نهاره لذة الصابرين، ويجد في ليله لذة المناجاة، فهنيئًا بهذا الصنف؛ فهؤلاء هم الذين تفتح لهم أبواب الجنة وتغلق عنهم أبواب النار، إنه لفرحة

عظيمة لهم؛ إذ ينسلخ عنهم رمضان وقد غفرت ذنوبهم وجددوا إيمانهم وقويت إرادتهم.

ومن الناس من دس نفسه وأتبعها هواها؛ يستقبل رمضان على أنه شهر جوع وتعب وإرهاق؛ فينام نهاره ويسهر في ليله فلا هو استغل نهاره بالذكر والتسبيح ولا هو نزه ليله عن المحرمات؛ يجعل بطنه همه الأكبر وشهوته هي الغالبة، ليس رمضان عنده إلا تفنن في الأكل والشراب؛ تراه يذهب إلي العمل وهو عليه شاق، إذا كان لك معاملة عنده أخرها، ووجهه مغضب وصدره ضيق ولسانه حاد لا يرى رمضان إلا جوعًا أفزعه وعطشًا أقلقه، فيا خسارة من كان هذا حاله، فوالله لقد فاته خير كثير وفضل كبير.

فهذا صنف ليس له في شهره حظ من الذكرى حرم لذة الصبر، وفقد لذة المناجاة في الليل فكيف تفتح له أبواب الجنة ويتعرض لنفحات ربه ولا حول ولا قوة إلا بالله.

أخي الكريم: تفكر في هذين الصنفين، وقف مع نفسك فإني أراك تجيب وتقول بلسان الحال: أنا من الذين يحرصون على الخير، واستقبل هذا الشهر الكريم بتوبة صادقة وإنابة خالصة، فإن كنت من هذا الصنف فاستبشر بقدوم هذا الشهر الكريم، ويحق لك أن تفرح وأن تفتح صفحة بيضاء تعاهد فيها ربك وتستغفر ذنبك؛ فباب القبول مفتوح لكل توبة نصوح، سارع وعجل ولا تتأخر ولب منادي الخير، يا باغي الخير أقبل ويا باغي الشر أقصر، وحافظ على وقتك واغتنم ساعات عمرك في عمل يرضاه لك ربك.

اعلم أخي الصائم أنه قادم عليك موسم عظيم وشهر كريم خصه الله من بين سائر الشهور بفضائل وخصائص لا تحصى ولا

تعد، لتشمر عن ساعد الجد وتبذل ما في الوسع، لتدرك رحمة من ربك لعلك أن تكون من عتقاء رمضان، فمن خصائص هذا الشهر ما يلي:

أولاً: رمضان شهر الصيام

اعلم أخي الصائم أن الله ما كتب علينا الصيام ليعذبنا بالجوع والعطش أو ليستغني بنا من فقر، ولكنه كتبه علينا لأنه طريق للتقوى وامتثال لأمره ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [البقرة: ١٨٣].

* واعلم أن من فضائل الصيام أنه سر بين العبد وربه؛ ففي الصحيح أن الله عز وجل يقول: «**كل عمل ابن آدم له إلا الصوم فإنه لي وأنا أجزي به**»؛ لأن الصوم لا يطلع عليه إلا الله تعالى فاختصه الله لنفسه من بين سائر الأعمال لعظمه وشرفه عنده.

* ومن فضائل الصيام أنه سبب لمغفرة الذنوب وتكفير السيئات؛ ففي الصحيحين عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**من صام رمضان إيمانًا واحتسابًا غفر له ما تقدم من ذنبه**».

* ومن فضائله أنه يشفع لصاحبه يوم القيامة؛ فعن أبي عمر رضي الله عنهما أن النبي ﷺ قال: «**الصيام والقرآن يشفعان للعبد يوم القيامة يقول الصيام أي رب منعته الطعام والشهوة فشفعني فيه ويقول القرآن منعته النوم بالليل فشفعني فيه.** قال: **فيشفعان**». رواه أحمد.

* ومن فضائله أن الصوم فيه وقاية من عذاب النار، عن جابر ﷺ أن النبي ﷺ، قال: «**الصيام جنة يستجن بها العبد من النار**». رواه أحمد بإسناد حسن.

* ومن فضائله أن خلوف فم الصائم أحب عند الله من ريح المسك.

* ومن فضائله أن للصائم فرحتان: فرحة عند فطره وفرحة عند لقاء ربه.

* ومن فضائله أن الصائمين يدخلون من باب الريان؛ كما في الصحيحين عن سهل بن سعد ﷺ أن النبي ﷺ قال: «**إن في الجنة بابًا يقال له الريان يدخل منه الصائمون يوم القيامة لا يدخل منه أحد غيرهم؛ يقال: أين الصائمون؟ فيقومون فيدخلون، فإذا دخلوا أغلق فلم يدخل منه أحد**».

* ومن فضائله أن الصائم له دعوة عند فطره لا ترد؛ عن ابن عمر ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: «**إن للصائم عند فطره دعوة لا ترد**». رواه ابن ماجه.

أخي الصائم: إذا عرفت أن للصيام فضائل لا تدرك حتى يقوم الصائم بآدابه، فكيف تحافظ على صيامك ولا تكون ممن صام عن الطعام والشراب.

اعلم أن الصائم الحقيقي هو الذي تصوم جوارحه عن الآثام ولسانه عن الفحش والسباب وقول الزور وبطنه عن الطعام والشراب، قال رسول الله ﷺ: «**من لم يدع قول الزور والعمل به فليس لله حاجة أن يدع طعامه وشرابه**». رواه البخاري.

اعلم أن الصائم الحقيقي لا يقابل الإساءة بالإساءة والبذاءة بالبذاءة، وإن سابه أحد أو قاتله قال: إني صائم.

اعلم أن الصائم الحقيقي أن يكون صيامه سببًا في سكينته ووقاره لا في ثورته وغضبه.

اعلم أن الصائم الحقيقي هو الذي يصون نفسه عن الشهوات والمحرمات حتى تنكسر نفسه وينتصر على هواه؛ قال جابر بن عبد الله: «إذا صمت فليصم سمعك وبصرك ولسانك عن الكذب والمآثم ودع أذى الجار وليكن عليك وقار وسكينة يوم صومك ولا تجعل يوم فطرك ويوم صيامك سواء».

أخي الصائم: حافظ على صيامك وتحلى بآدابه واحفظ حدوده وسارع في طاعة الله تنل بذلك أعلى الدرجات ولا تعرضه لما يفسده أو يخل به أو يذهب أجره من المعاصي والآثام، ولا تكن ممن يضيع وقته ويكون أسيرا لشهواته، فعمِّر أوقاتك بالأعمال الصالحة؛ فإنها هي التجارة الرابحة وفرصتها لك في رمضان سانحة؛ فقد أعطاك الله المهلة، وبلغك رمضان، فما تدري أتبلغ رمضان مرة ثانية أم لا؛ فما أسرع أيامه ولياليه، تذكر من كان معنا يصلي، وينتظر بلوغ الشهر، فوافاه الأجل فقطع عليه الأمل.

ثانيًا: رمضان شهر القرآن

أخي الصائم: اعلم أنَّ أعظم مطلب في هذا الشهر هو إصلاح القلب وأعظم ما يصلح القلب هو القرآن فانتهز وجود رمضان فتشغله بخير ما أنزل فيه وهو قراءة القرآن الكريم، «فإن جبريل كان يلقي النبي في كل ليلة يدارسه القرآن». رواه البخاري ومسلم من حديث ابن عباس، وكان السلف ﷺ يكثرون من تلاوة القرآن في رمضان، كان الزهري رحمه الله يقول إذا دخل رمضان إنما هو تلاوة القرآن وإطعام الطعام، وكان مالك رحمه الله إذا دخل رمضان ترك قراءة الحديث ومجالس العلم وأقبل على قراءة القرآن،

وكان عثمان بن عفان يختم القرآن كل ليلة، وبعض السلف يختم القرآن في قيام رمضان كل ثلاث ليال، فاقتدِ يرحمك الله بهؤلاء الأخيار وسر على سيرهم تلحق بالبررة الأطهار.

أخي الصائم: اتل القرآن وتدبر معناه؛ فإن الله تعالى يأجرك على تلاوته؛ ففي كل حرف عشر حسنات؛ فقد روى الترمذي عن ابن مسعود ﷺ أن النبي ﷺ قال: «**من قرأ حرفًا من كتاب الله فله به حسنة، والحسنة بعشر أمثالها؛ لا أقول آلم حرف؛ ولكن ألف حرف ولام حرف وميم حرف**».

أخي الصائم: أقبل على هذا القرآن فإن فيه الهدى والشفاء والموعظة، قال الله تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَتْكُمْ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَشِفَاءٌ لِمَا فِي الصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ**﴾ [يونس: ٥٧].

أخي الصائم: اقرأ هذه القرآن وتدبره واعمل بما فيه فإنه يأتي يوم القيامة شفيعًا لك؛ ففي صحيح مسلم عن أبي أمامة ﷺ أن النبي ﷺ قال: «**اقرؤا القرآن فإنه يأتي يوم القيامة شفيعًا لأصحابه**».

أخي الصائم: هذه بعض فضائل القرآن فأقبل على هذا القرآن في هذا الشهر الكريم قراءة وتلاوة وتدبرًا؛ فإنك إن عملت بما فيه سعدت في الدنيا وفزت في الآخرة، ولا تكن ممن انشغل بجميع الحطام واستبدله بالقيل والقال فيمر عليك العام وما قرأت شيئًا من القرآن.

فهل لك أن تعيش مع القرآن في رمضان وغير رمضان تحيي قلبك بمواعظه وتطمئن نفسك بترتيله وتقوم حياتك بأحكامه.

سمعتـــك يـــا قــــرآن والليـــــل غافـــــل
سريت تهُزُّ القلــب ســبحان مــن أســرى
فتحنـــا بـــك الـــدنيا فأشـــرق صـــبحها
وطفنـــا ربـــوع الكـــون نملؤهـــا أجـــرًا

ثالثًا: رمضان شهر القيام

أخي الصائم: ولنا في رسول الله ﷺ أسوة حسنة حين أطال القيام لربه، وقد مدح الله في كتابه القائمين: ﴿وَالَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَامًا﴾ [الفرقان: ٦٤] وقال: ﴿تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ﴾ [السجدة: ١٦].

وقال رسول الله ﷺ: «**من قام رمضان إيمانًا واحتسابًا غفر له ما تقدم من ذنبه**».

أخي الصائم: قم وناج ربك وتضرع إليه وأطل الركوع والسجود واسأل ربك العون والسداد والفتح والرشاد على أن يعينك على القيام في رمضان وغير رمضان، صح عنه ﷺ أنه قال لابن عمه: «**يا عبد الله لا تكن كفلان كان يقوم الليل ثم ترك قيام الليل**».

رابعًا: رمضان شهر الجود والعطاء

أخي الصائم: شهر رمضان فرصة عظيمة للمنفقين؛ فقد صح عنه ﷺ أنه قال: «**إن لله ملكين يناديان في كل صباح، يقول أحدهما: اللهم أعط منفقًا خلفًا، ويقول الآخر: اللهم أعط ممسكًا تلفًا**». متفق عليه.

وفي الصحيح عن ابن عباس رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ كان أجود الناس وكان أجود ما يكون في رمضان حين يلقاه جبريل.

أخي الصائم: أكثر من الصدقة في رمضان؛ فإن أفضل الصدقة صدقة رمضان؛ فلعلك تطعم جائعًا أو تسد فاقة محتاج أو تفطر صائمًا؛ صح عنه ﷺ: «**من فطر صائمًا كان له مثل أجره دون أن ينقص من أجر الصائم شيئًا**». ألا تريد أن يحفظ الله عليك النعمة وأن يخلف الله لك خيرها؛ أنفق ينفق عليك، قال تعالى: ﴿وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ﴾ [سبأ: ٣٩].

أيرضيك أن تكون في رغد العيش وسعة الرزق ولك إخوان أصابتهم شدة الفقر يحسون بألم الجوع وأنت تتمتع بأصناف الغذاء، أمن المروءة أن تتمتع بملابس الزينة وإخوانك يحرقهم حر الصيف ويقرصهم برد الشتاء!

ألا تريد الجنة، أدخل السرور على إخوانك: «**من نفس عن مؤمن كربة من كرب الدنيا نفس الله عنه كربة من كرب يوم القيامة**». فاصنع المعروف في أهله إن استطعت يعطيك الله الأجر والثواب العظيم.

العشر الأواخر

انظر رحمك الله إلى شهرك واعرف فضله، كنا بالأمس نستقبله واليوم نودعه فها أنت مقبل على العشر الأخيرة، أعظم أيامه فضلاً وأجلها قدرًا وأكثرها أجرًا، فكم من مذنب يعتق من النار فيها ويغفر له فيها من الذنوب، قدم لنفسك فيها توبة صادقة؛ إنها فرصة تسنح في العام مرة واحدة، فيها ليلة القدر هي خير من ألف شهر،

اغتنم هذه الليلة، قال رسول الله ﷺ: «**من قام ليلة القدر إيمانًا واحتسابًا غُفر له ما تقدم من ذنبه**».

وكان من هدي النبي ﷺ في هذه العشر أن يجتهد بالعمل فيها أكثر من غيرها؛ ففي صحيح مسلم عن عائشة: «أن النبي ﷺ كان يجتهد في العشر الأواخر ما لا يجتهد في غيره».

وفي الصحيحين عنها قالت: «كان النبي ﷺ إذا دخل العشر شد مئزره وأحيى ليله وأيقظ أهله».

أخي الصائم احرص على اغتنام هذه الليالي؛ فقد تدرك نفحة من نفحات الله فتكون سعادتك في الدنيا والآخرة.

واعلم أن ليلة القدر يفتح الله فيها باب القبول ويقرب فيها المحبين وباب التوبة فيها مفتوح وعطاء ربك ممنوح؛ فمتى تجد وتعمل إذا لم تعمل في هذه الأيام؟! إنها فرصة قد لا تتكرر ولا تعود؛ فإنك لا تعلم هل ستعيش إلى عام قادم أم لا؛ فهل من مجتهد حريص.

وهل يشبهُهُ شهرٌ	وفيه ليلة القدر
فكم من خير صح	بما فيها من الخير
روينا عن ثقات أنها	تطلب في الوتر
فطوبى لامرئ	يطلبها في هذه العشر
ففيها تنزل الأملاك	بالأنوار والبر
وقد قال سلام هي	حتى مطلع الفجر
ألا فادخروها إنها	من أنفس الذخر
فكم من معتق فيها	من النار ولا يدري

في ختام الشهر

أيها الصائم: ها هو رمضان تنتهي لحظاته وأيامه، جاء وقت الوداع فبأي شيء تودعه؟! هل تبكي على فراقه وتتأسف على رحيله وتندم على انتهائه؟!

انتهى شهر العبادة فهل أحييته بالعبادة، انتهى شهر البر والإحسان هل أفطرت فيه صائمًا أو أعطيت سائلاً محرومًا، انتهى شهر صلة الأرحام هل وصلت فيه قريبًا أو زرت جارًا، انتهى شهر التوبة هل صرت من التائبين النادمين، انتهى شهر القرآن هل انشغلت فيه بتلاوته.

وإن كان رمضان قد مضي فإن عمل المسلم لا ينقضي حتى الموت، فلا تقل ذهب رمضان وتستهل شوال بالفسوق والعصيان، فقد عهدناك في شهر رمضان مطيعًا منيبًا إلى ربك، فعلى أي شيء عزمت بعد رمضان، أبعدما ذقت لذة الطاعة والمناجاة تعود إلى مداراة العصيان، فلا تكون ممن بنى وهدم، وأبرم ونقض ﴿**وَلَا تَكُونُوا كَالَّتِي نَقَضَتْ غَزْلَهَا مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ أَنْكَاثًا**﴾ [النحل: ٩٢].

ودع شهرك بتوبة صادقة وبقاء على العهد وأتبع الحسنة بالحسنة فذلك من علامات قبول التوبة.

تقبل الله منا ومنكم الصيام والقيام وسائر الطاعات وأعاده علينا وعلى أمة الإسلام بالقبول والمغفرة والصحة والسلام وعز الإسلام إنه سميع قريب.

أخوكم محمود أحمد راشد

* * * *